جامعة دمشق
كلية الآداب
قسم الفلسفة
دراسات عليا

مقرر فكر عربي معاصر

موعد المحاضرة
٨ ــ ١٠
الأربعاء ٢٠٢٠/٣/١٨

عنوان المحاضرة: الفكر العربي، اتجاهاته ــ تطوره

((الفكـــر العربـي))

في الفكر وفي التراث الفكري العربي :

1- ما معنى " الفكر " في قولنا " الفكر العربي " ؟

- قيل عن الإنسان : إنه " حيوان ناطق" بمعنى عاقل أو مفكر، أي أنه يؤسس وجوده وينشئه بالاستناد إلى مبادئ معقولة هي، في الوقت ذاته، أهداف فكلمة " فكر" من هذا القبيل متعددة المضامين والمستويات تشمل الدين والفلسفة، السياسة والاقتصاد التشريع والإدارة الخ...تشمل أيضاً الأدب والفن وكل صنوف التعبير. ولا يعني هذا رد كل أنواع الممارسة الإنسانية النظرية والعملية إلى الفكر وحده،بل ومع الفكر على أساسها بحيث تصبح معقولة .

وأن الواقع بذاته متحرك تلقائياً، الفكر بعد من أبعاده، يسبقه ويلحق به

يسبقه: بمعنى أن الإنسان لا يقوم بنشاط ما دون أن يتصوره مسبقاً، مهما يكن هذا التصور مغمضاً.

يلحق به : لأنه يستخلص الواقع.

إذا هناك علاقة ديا لكتيكية بين الفكر والواقع كل منهما يستجيب للآخر ويكمله.فلا يمكننا أن نتصور واقعاً إنسانياً دون فكر، والعكس صحيح.

أقول بشكل آخر: أن الفكر من محركات الواقع لا بل هو أعلى هذه المحركات شأناً، إذ لوترنا الأمور لتلقائيتها الطبيعية أدت بنا إلى الفوضى والاستسلام للأنانيات والغرائز.

ولكن نلاحظ من جهة أخرى، أن الفكر قد يكون تصورات فارغه ملصقة بالواقع إلصاقاً مسطنعاً أو مضافة إليه من الخارج. وعندئذ يصبح من معوقات النمو.

فالفكر الصحيح هو الذي يتلاحم عضوياً وديالكتيكيا مع واقع ما يستجيب له بحيث يجعل نموه معقولاً، وفي الوقت ذاته مجدياً وناجعاً .

وهذه هي المسألة التي أحاول معالجتها في البحث السريع وفي طرح الأسئلة التالية :

1- ما الأفكار التي سيطرت على الواقع العربي في العصر الحديث والمعاصر, أي منذ بدء النهضة في أواسط القرن التاسع عشر إلى أيامنا.؟

2-لأية درجة كانت هذه الأفكار قادرة على تحريك الجماعة العربية بحيث تخرجها من جمودها في عصر الانحطاط وتمكنها من اللحاق بالحضارة الحديثة.؟

3- ما التطورات التي طرأت على هذه الأفكار بحيث بدلت مواقع النضال العربي وجعلته يصبح تدريجياً أكثر أحكاماً وأبلغ تأثيراً في التاريخ؟

وقبل أن حاول الاجابة عن هذه الأسئلة, أرى من الضروري تعميق شرح كلية " فكر" بالمقارنة مع العلم والفلسفة والايديولوجيا أي مع النظم العلمية الفكرية، إذ أن الموضوع المعالج وأن كان يقترب من هذه النظم، فهو غيرها: إنه الأفكار الموجهة للجماعة العربية، الناظمة لسلوكها، ولسياساتها، والتي هي الطريق التي تشقها، منذ قرن ونصف، إلى المستقبل وإلى التلاقي مع الفكر العالمي.

إن العلم يعالج معطى ما مجاله محدود يعينه العالم (الذرة مثلا في العلوم الطبيعية أو النقابة في العلوم الإنسانية) في حين أن الفكر يتخطى المعطى ليستشرق المستقبل ولكي يبني السلوك على اسس سليمة. فعلم الاجتماع يدرس النقابات من حيث واقعها، طريقة عملها، وظائفها، تطورها، الخ..ولكن يمكن أن يدرس الموضوع ذاته من حيث المبادئ التي يقوم عليها وكيف يجب أن تطبق هذه المبادئ لكي تكون الحياة النقابية صحيحة، ولكي يعطي النقابيون مردوداً مرتفعاً.

أما الفلسفة فتحاول أن تحيط بمجموع المشكلات في عصرنا، أو في قرون (الفن الاقتصاد، السياسة، الخ ...) وأن تردها إلى اسسها الأولى بحيث تلتقي مع غيرها في عصور أخرى. وفي نهاية المطاف تدرس الفلسفة المبادئ العقلية، بذاتها ولذاتها التي هي مبادىءالعقل والنظر. أن الفلسفة هي أكثر النظم العقلية شمولاً وعمقاً وعليها تبنى،مبدئياً كل الدراسات الأخرى وألفت النظر، بهذه المناسبة إلى أن أكثر ما يعوزنا نحن العرب، في هذا العصر، هو مثل هذه النظريات الكبرى التي هي بمثابة رصيد فكري، شبيه بالرصيد المالي أو الاقتصادي ونظيره، كل منهما يكمل اللأخر. ذلك أن الامم تعيش من فائضها.

إن ما أقصده في هذه المحاولة هو أكثر تواضعاً، إذ أنه مقاربة أولى في اتجاه المبادئ العقلية التي يقوم عليها النضال العربي في كل المجالات وبخاصة في الاقتصاد والسياسة.

وهذا التعريف يؤدي بنا إلى التمييز الثالث، والاخير، بين الفكر والايديولوجيا فلنبدأ بتحليل كلمة " ايديولوجيا " التي أصبحت على كل الألسن.

يقول منهاتم : "هي كل منظومة معاني، قيمتها النظرية في الظاهر، ولكن تعبر في الحقيقة، وبشكل غير واع عن وقائع وأوضاع اجتماعية خاصة اقتصادية وتقنية " .

ويقول فرنسوا شتليه: هي تشكل ثقافي ضمني وانتاج ثقافي صريح يعبر عن وجهة نظر فئة اجتماعية أو طبقة اجتماعية، وتتعلق الايديولوجيا بروابط الإنسان مع الطبيعة، مع المتخيل مع الغير ومع ذاته، وتقدم نفسها على انهاء كلية، ولكن في الواقع وجهة نظر خاصة.

والايديولوجيا، في نظر علماء الاجتماع تسويغ عقلي وانفعالي لنظام اجتماعي سياسي معين ففي كل مجتمع ايديولوجيا سائدة تقذف بغيرها إلى الصف الثاني، فهي بنية فوقية تعبر عن الصراع الطبقي.

ويمكن القول بشكل أعم أن الايديولوجيا هي مجموعة الاراء والمعتقدات والأساطير،والمبادئ والقيم، العادات والتقاليد وباختصار مجموعة التصورات التي يكونها مجتمع ما طبقة اجتماعية عن سلوكهما، فهي نتاج أو نتيجة لواقع ما، ولكن ترتكز عليه لأنها تؤثر في سلوكه.

الايديولوجيا، كما يلاحظ ماركس(بخاصة في كتاب، الايديولوجيا الألمانية) ليست علمية، بل تمهد السبيل لقيام نظرية علمية تصلح أساسا للسلوك وبخاصة للممارسة الثورية.

الايديولوجيا إذا نتاج وتصورات: نتاج لانها محطة ظرف تبدله وتتبدل معه، وتصورات لانها من عالم الشعور.

والفكر هو أيضا ،كذلك ولكنه، من حيث المبدأ أكثر دقة وشمولاً وكلية. ويجب أن نلح على كلمة " كلية " لأن الكلي صالح مبدئياً لكل زمان ولكل مكان. لنأخذ على سبيل المثال " الحرية" فقد تكون عملياً وفي الواقع، ديمقراطية ليبرالية أو شعبية، برلمانية أو اشتراكية.

وعندها تصبح ايديولوجيا لانها نتيجة ممارسة ما وتطبيق لمجموعة من التصورات عن النظام الذي يشرك، أن لم يكن الشعب كله، فعلى الآقل " أكبر عدد منه " في حق تقرير المصير المشترك .

لكن الحرية بما هي كذلك، لا ترتبط بايديولوجيا معنية، بل هي الإنسان في اسمى ما يتطلع إليه. يمكن إذا أن تدرس الحرية من وجهات نظر ثلاث:

المستوى الايديولوجي، أي تصور شعب في ظرف معين لديمقراطيته.

المستوى العلمي : سوسيولوجيا الديمقراطية أو تشريعاتها أو تاريخها.

المستوى الفلسفي: ماهية الحرية، أو الحرية في ذاتها ولذاتها كما يقول الفلاسفة.

2- الفكر العربي : تصنيفه وثوابته:

أن دراسة الفكر العربي أمر ممتع، إذ أنه تراث ضخم ممتد على خمسة عشر قرناً من حيث تاريخه، وهو في وضعه الراهن موزع على عدة أقطار متفاوتة من حيث النمو والأنظمة.

فلكي نتمكن من أعطاء لمحة عامة منه في ضوء هذه الدراسة، علينا أن نستخلص من جهة بعض ثوابته وبعض ثغراته، ومن جهة أخرى خطوط القوة فيه أي الاتجاهات المستقبلية .

وهذه العملية العامة تحتاج بادئ ذي بدء إلى تصنيف تخطيطي، ولكنه تقريبي تخطيطي لانه يتناول الاطر الكبر تقريبي لعدم توافر دراسات سيمضي زمن طويل قبل أن توضع . فنقطة الانطلاق يجب ان تكون الحاضر. أو بالأحرى المستقبل (اتجاه التطور) وعلى ضوئه أدرس الماضي بسرعة لأعود إلى المسائل الراهنة. واقتصد بالماضي ما قبل القرن الرابع عشر، أو ما قبل عصر الانحطاط.

وعلى هذا الشكل أقسم الفكر العربي إلى قسمين كبيرين : الماضي والحاضر وسوف أكرس لسورية العربية القسم الثاني من هذع الدراسة لاعتقادي بأن تجربة هذا القطر رائدة، وبوصفها كذلك تلقي ضوءاً ممتازاً على مجموع الوضع العربي،بحيث أن دراسة الفكر في سورية يمكن أن تنسحب على ما تبقى من الاقطار.

أ -الفكر الأول :

نحن أبناء الماضي البعيد، لا يزال حاضراً فينا نتمثل مبادئه وقيمه، عاداته وأخلاقيته من بيئتنا ومن دراستنا للتراث في المعاهد والمدارس. فعندما نقول

((أمة عربية واحدة)) لا نقصد من الخليج إلى المحيط وحسب، بل من فجر تاريخ أمتنا إلى أيامنا ومن أيامنا إلى ما شاء الله.

والفكر الأول – فكر الماضي –محصلة لأربعة تيارات تقاطعت في المجال العربي بعضها مع بعضها الاخر، تواجدت وتعايشت فألفت كلا متماسكاً لحد بعيد.

فألاول من الجاهلية وهو قومي خالص يرقى إلى قرون على ما يبدو، وقد تبلور في الشكل الذي وصل إلينا مع تبلور اللغة العربية ، وتكاملها،

فالشعر الجاهلي (وما تلاه وهو في مجموعه من وحي الشعر الجاهلي) سجل للأخلاقية وللخلق العربيين.